الدخان

أسماء أخرى : الدكة

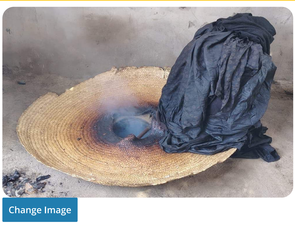

Change Image

المجال العادات المتعلقة بالمنزل وممارسات الأسرة
تدخين الجسم

المجموعات المجتمعية والموقع

المجموعات المجتمعية

النساء – معظم مجتمعات وثقافات السودان.

الممارسون

نساء السودان

الغرض/الاستخدام

تجميلي – صحي.

المعرفة/المهارات

يتطلّب الدخان معرفة بأنواع الحطب وكميته المستخدمة داخل الحفرة وبعض العطور والزيوت المستخدمة فيه، حيث تمسح المرأة جسدها بهما قبل أن تجلس فوق حفرة الدخان. ويختلف دخان النزاع عن دخان الولادة وعن (التوخة) الاعتيادية فيما بينهما.

التعليم

متوارث وينتقل عبر الأجيال.

الأدوات والمعدات والخدمات

البرش، الشملة، حطب الطلح أو الشاف أو غيرهما، زيوت عطرية.

التاريخ

لا يُعرف لحفرة الدخان تاريخ محدّد لكن تؤكّد معظم الدراسات أنها عادة سودانية موجودة منذ مئات السنين.

مقدمة

حتى وقت قريب، كان أيّ شخص يتفقّض الفناء الخارجي لمعظم المنازل في السودان أو ضواحيه، خاصة في الأحياء الشعبية القديمة، يلاحظ وجود حفرة في أحد أركان المنزل، بتراوح عمقها بين 50 و 70 سنتيمترًا، ومبطّنة بناء فخاري داخل إطار دائري، تُعرف باسم «حفرة الدخان». ويوضع فوقها عُملاء تقليدي عبارة عن حصير دائري مصنوع من سعف النخيل، يتوسّطه فتحة دائرية بحجم الحفرة.

ويُعدّ هذا جزءًا من طقوس الجمال العريقة لدى النساء السودانيات، خاصة قبل الزواج وبعد الولادة. فالدخان هو حمّام بخار من دون استخدام الماء، يكتمل عبر الدخان المتصاعد من حرق كمية من حَشَب الطلح أو السدر أو الكافور في حفرة تحت الأرض، حيث تجلس الفتاة مقابل الفتحة التي يخرج منها الدخان داخل خيمة صغيرة تُصنع قديمًا من صوف الماعز، أو تحت بطانية جديّة تغطي الجسد بالكامل.

لقد أثّرت الحداثة في التقاليد والعادات السودانية بأشكال مختلفة، فاندثر بعضها تمامًا بامتلاشاء حفرة الدخان التي قاومت التحديث وحافظت على دلالتها التجميلية بين النساء السودانيات، المعروفات باهتمامهن بالعطور والبخور، كما تشير الأنثروبولوجية أميرة أحمد. وقد طرحت تساؤلات حول هذا الاهتمام الخاص، مقترحة أن هذا الارتباط الوثيق بين المرأة السودانية وعطورها قد يوفّر مدخلًا لفهم وتحليل سياسات النوع الاجتماعي والعلاقات في المجتمع السوداني.

إن التعمّق في هذه الحالة قد يكشف معانٍي ودلالات للعطر تتجاوز قيمته المادية والحسية، إذ يمثّل عنصرًا مهمًا في منظومة التراث السوداني. ويبقى السؤال حول دلالة ودور العطر في مجتمع محافظ كالسودان، تحكمه ثقافة أبوية تنظّم علاقة المرأة بالمجتمع. وبعبارة أخرى، هل يمكن اعتبار هذه الطقوس الغنية في إعداد وصناعة واستخدام العطور التقليدية وسيلة تخلق بها النساء السودانيات فضاءً خاصًا يعوّض عزلتهن التاريخية وتهميشهن وإقصاءهن؟ وإذا صحّت هذه الفرضية، فهل يمكن أن يكون العطر، بقيمته المادية والرمزية، أداة لمقاومة القهر الذي يستهدف النساء؟

وهل يمكن أن نذهب أبعد من ذلك لنستنتج أن العطر، بسحره وفوائده، قد شكّل سلاحًا في ثورة النساء السودانيات ضد النظام الأبوي، وضد الاستعمار في الماضي، وضد الأنظمة القائمة والديكتاتوريات التي عانى منها البلد؟ وما إمكانات العطر في تعزيز التضامن والعمل الجماعي بين النساء في السودان؟

تتناول الباحثة النسوية والطبيبة ناهد محمد الحسن بعض هذه الأسئلة، مشيرة إلى أن طقوس العناية بالجسد هي جزء من بناء البيت؛ فحفرة الدخان، وأحيانًا مظلة الدخان، تُحلّ وتُجهّز أحيانًا بمساعدة الرجال، وهي ليست مجرد غرف ساونا، بل منظومة متكاملة من الحقوق. إن لحظة جلوس المرأة في حفرة الدخان هي لحظة هدوء من صخيج اليوم، تجمع فيها نفسها، وتتأمل ذاتها، وتسترخي. فالدخان علاج عطري يخفف الآلام الروحية والجسدية، وينظف الجلد، ويخلّصه من روائح الطهي وأعباء المنزل.

كما أن الدخان لغة تواصل غير لفظية مع الجيران وضيوف المنزل، وأحيانًا مع الأقارب. فهو يضع حدودًا، وينظّم الحركة في الزيارات، ويُعدّ أيضًا وسيلة تواصل مع الزوج للتعبير عن الحاجة إلى الحب والمودّة. إنه انفصال عن زمن لا يخصهنّ، وطريقة تعيش بها لنفسها وتطالب بحقوقها من دون كلام.

أما من يرى في الدخان امرًا فاضحًا أو تقليدًا بالياً ويستبدله بالساونا أو ما شابهها، فعليه الانتباه إلى اغتراصه الآخرين، خاصة لدى النساء اللواتي ما زلن داخل أطر المؤسسات التقليدية. فالدخان هو صوتهن في تأكيد ذواتهن والدفاع عن مساحاتهن الخاصة داخل البيت.

القيمة الثقافية :

جزء من عادات الزواج والولادة ولطقس تجميلي يخص المرأة السودانيّة دونًا عن نساء الأرض.

الممارسات المرتبطة :

زواج، ولادة، مناسبات اجتماعيّة.

حتى وقت قريب، كان أيّ شخص يتفقّض الفناء الخارجي لمعظم المنازل في السودان أو ضواحيه، خاصة في الأحياء الشعبية القديمة، يلاحظ وجود حفرة في أحد أركان المنزل، بتراوح عمقها بين 50 و 70 سنتيمترًا، ومبطّنة بناء فخاري داخل إطار دائري، تُعرف باسم «حفرة الدخان». ويوضع فوقها عُملاء تقليدي عبارة عن حصير دائري مصنوع من سعف النخيل، يتوسّطه فتحة دائرية بحجم الحفرة.

ويُعدّ هذا جزءًا من طقوس الجمال العريقة لدى النساء السودانيات، خاصة قبل الزواج وبعد الولادة. فالدخان هو حمّام بخار من دون استخدام الماء، يكتمل عبر الدخان المتصاعد من حرق كمية من حَشَب الطلح أو السدر أو الكافور في حفرة تحت الأرض، حيث تجلس الفتاة مقابل الفتحة التي يخرج منها الدخان داخل خيمة صغيرة تُصنع قديمًا من صوف الماعز، أو تحت بطانية جديّة تغطي الجسد بالكامل.

لقد أثّرت الحداثة في التقاليد والعادات السودانية بأشكال مختلفة، فاندثر بعضها تمامًا بامتلاشاء حفرة الدخان التي قاومت التحديث وحافظت على دلالتها التجميلية بين النساء السودانيات، المعروفات باهتمامهن بالعطور والبخور، كما تشير الأنثروبولوجية أميرة أحمد. وقد طرحت تساؤلات حول هذا الاهتمام الخاص، مقترحة أن هذا الارتباط الوثيق بين المرأة السودانية وعطورها قد يوفّر مدخلًا لفهم وتحليل سياسات النوع الاجتماعي والعلاقات في المجتمع السوداني.

إن التعمّق في هذه الحالة قد يكشف معانٍي ودلالات للعطر تتجاوز قيمته المادية والحسية، إذ يمثّل عنصرًا مهمًا في منظومة التراث السوداني. ويبقى السؤال حول دلالة ودور العطر في مجتمع محافظ كالسودان، تحكمه ثقافة أبوية تنظّم علاقة المرأة بالمجتمع. وبعبارة أخرى، هل يمكن اعتبار هذه الطقوس الغنية في إعداد وصناعة واستخدام العطور التقليدية وسيلة تخلق بها النساء السودانيات فضاءً خاصًا يعوّض عزلتهن التاريخية وتهميشهن وإقصاءهن؟ وإذا صحّت هذه الفرضية، فهل يمكن أن يكون العطر، بقيمته المادية والرمزية، أداة لمقاومة القهر الذي يستهدف النساء؟

وهل يمكن أن نذهب أبعد من ذلك لنستنتج أن العطر، بسحره وفوائده، قد شكّل سلاحًا في ثورة النساء السودانيات ضد النظام الأبوي، وضد الاستعمار في الماضي، وضد الأنظمة القائمة والديكتاتوريات التي عانى منها البلد؟ وما إمكانات العطر في تعزيز التضامن والعمل الجماعي بين النساء في السودان؟

تتناول الباحثة النسوية والطبيبة ناهد محمد الحسن بعض هذه الأسئلة، مشيرة إلى أن طقوس العناية بالجسد هي جزء من بناء البيت؛ فحفرة الدخان، وأحيانًا مظلة الدخان، تُحلّ وتُجهّز أحيانًا بمساعدة الرجال، وهي ليست مجرد غرف ساونا، بل منظومة متكاملة من الحقوق. إن لحظة جلوس المرأة في حفرة الدخان هي لحظة هدوء من صخيج اليوم، تجمع فيها نفسها، وتتأمل ذاتها، وتسترخي. فالدخان علاج عطري يخفف الآلام الروحية والجسدية، وينظف الجلد، ويخلّصه من روائح الطهي وأعباء المنزل.

كما أن الدخان لغة تواصل غير لفظية مع الجيران وضيوف المنزل، وأحيانًا مع الأقارب. فهو يضع حدودًا، وينظّم الحركة في الزيارات، ويُعدّ أيضًا وسيلة تواصل مع الزوج للتعبير عن الحاجة إلى الحب والمودّة. إنه انفصال عن زمن لا يخصهنّ، وطريقة تعيش بها لنفسها وتطالب بحقوقها من دون كلام.

أما من يرى في الدخان امرًا فاضحًا أو تقليدًا بالياً ويستبدله بالساونا أو ما شابهها، فعليه الانتباه إلى اغتراصه الآخرين، خاصة لدى النساء اللواتي ما زلن داخل أطر المؤسسات التقليدية. فالدخان هو صوتهن في تأكيد ذواتهن والدفاع عن مساحاتهن الخاصة داخل البيت.

التعبيرات الثقافية

...

القابلية

التهديدات :

تضاول الغطاء النباتي في البلاد بعد فقدان 60 في المئة من الأشجار خلال العقود الثلاثة الماضية، إذ تتناثل مساحات الغابات بشكل متسارع بسبب القطع الجائر للأشجار للحصول على أرباح سريعة.

التطوّر الرأسي للمعمار الحديث.

الموارد الطبيعية المستخدمة

حطب أشجار الطلح والشاف. زيت شعر الحروف (الكركار) مخلوطًا بماء القرنفل وبعض العطور.

Image(s) source :

Link(s)